الفصل الثالث عشر

الإسلام مقابل العروبة

حلف إسلامي في خدمة الصهيونية العالمية والحفاظ على أمن إسرائيل[1]

في عام ١٩٥٣ قام وزير الخارجية الأمريكية جون فوستر دالاس بزيارة مصر بهدف الترويج لحلف دفاعي مصري - إسرائيلي - تركي، بحجة تطويق الاتحاد السوفيتي ومنع انتشار الشيوعية، فرفض عبد الناصر المشروع وأجاب دالاس بأنه لا يشعر بأي تهديد سوفيتي، بل التهديد يأتي من إسرائيل الواقعة على حدودنا مباشرة.

عاد دالاس خائبًا من جولته تلك، ووقف أمام الكونغرس الأمريكي ليقول وجهة نظره حول ما استنتجه أو حققه في زيارته تلك، ليعلن: أن الخطر القادم في الشرق الأوسط لا يأتي من الشيوعية بل من الحركة القومية العربية.

١- ملاحظة: أرجو من المتخلفين والأغبياء والجهلة عدم التعليق إلا بعد الإطلاع على المصادر التالية، وهي بعض مما تناولت الموضوعات التي نطرحها هنا..

أيسر الكتب وأسهلها كتاب باترك سيل: الصراع على سوريا / ارسكين تشالدرز، الطريق إلى السويس، ترجمة خيري حماد/ ولبركرين ايفلاند، حبال من رمل، ترجمة سهيل زكار / مذكرات أيزنهاور، ترجمة خيري حماد / باتريك سيل، الصراع على سوريا، ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة/ وأهمها وأخطرها جميعًا بالانجليزية: كتاب

.John Campbel, Defence of the Middle East, Newyork:Harper &Brothers.1958

وهي دراسة كُتبت لصاحب القرار الأمريكي تعرض احتمالات تطور الحركة القومية العربية وتطرح البدائل عند حصول حالة خطرة كتلك التي تم بها نسف أنابيب النفط العراقي إبان حرب السويس، من يقرأ الكتاب بتمعن، ثم يُغمض عينيه ويتأمل مجريات الأحداث على الأرض العربية يجد أن نسبة عالية من المشروعات والاقتراحات التي طرحها الكاتب قد تحققت فعلاً.

أما المُستأجرين لأداء أدوار وفقًا لمخططات مرسومة من هذا الطرف أو ذاك من أعداء الأمة العربية؛ نتمنى لهم الالتزام بأدب الحوار وأن لا يلزمونا بالنزول لمستواهم.

كان هذا الإعلان بداية لتحرك أمريكا ومخابراتها للبحث عن الوسائل والسلوكيات اللازم اتخاذها لمواجهة هذا الخطر الجديد، ومع تصاعد الحركة القومية العربية في سوريا ومصر خاصة بدأت المؤامرات الأمريكية تتوالى على سوريا باعتبارها العقدة الأكثر ليونة في هذا الخطر، خاصة بعد قيام عبد الحميد السراج مدير الشعبة الثانية (المخابرات العسكرية) ومجموعات الضباط القوميين بنسف أنابيب النفط العراقي التي تمر عبر سوريا إبان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، وكان النفط العراقي هو المصدر الأول والأساسي لحاجات كل من بريطانيا وفرنسا، ما فرض على أمريكا التدخل للضغط على حلفائها لوقف الحرب لأنها اكتشفت أن لا النفط الأمريكي ولا الفنزولي كافيان للتعويض عن نفط العراق.. منذ ذلك الحين، تصاعدت حدة المؤامرات على سوريا ومصر، سنركز هنا على سوريا أكثر.

أخذ التآمر على سوريا منحيين:

الأول: بالتخطيط لانقلاب عسكري لعملاء أمريكا والغرب، ومرة بمحاصرتها وتهديدها بإرسال البوارج الحربية قبالة سواحلها، وحشد الجيش التركي على حدودها الشمالية، وإعلان أيزنهاور ما عرف بمبدأ أيزنهاور في حينها، الذي يؤكد على أن أمريكا مستعدة لتقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية للدول المهددة بالخطر الشيوعي، هذا الخطر الذي اكتشفته إدارة أيزنهاور من خلال صفقة السلاح التي اشترتها سوريا من روسيا.. أن تكون سوريا قوية فذاك خطر من الشيوعية العالمية يهدد مصالح الغرب وأطماعهم في الوطن العربي، وأمن ربيبتهم إسرائيل..

الثاني: كانت فكرة إقامة حلف إسلامي يدعو للوحدة الإسلامية لمواجهة مشروع الوحدة العربية، الغريب أنه وحتى الآن يقف من يتظاهروا بالدعوة للوحدة الإسلامية موقف العداء لشعار الوحدة العربية، مع أن النيات الصادقة

والمخلصة يمكن أن تنظر لهذه الوحدة كنواة للوحدة الإسلامية أو خطوة باتجاه تحقيقها.

كان من البديهي أن تلجأ أمريكا إلى أدواتها في المنطقة لتحقيق هذه المؤامرة (حلفائها من الحكام العرب ودول الجوار– تركيا وإيران – والسعودية خاصة)، فقامت بدعوة الملك سعود لزيارة أمريكا عام ١٩٥٧ لإقناعه في المبادرة بتشكيل حلف إسلامي، للنفخ في كبرياء الملك المتخلف والضحك عليه، كسر أيزنهاور لأول مرة البروتوكول الرئاسي الأمريكي وخرج لاستقبال سعود في المطار ، وتم إقناع سعود بالمباشرة بطرح التحالف الإسلامي تحت غطاء مواجهة الشيوعية والخطر السوفيتي.

عاد سعود من زيارته مرورًا بتونس بأمل أن يكسب الرئيس بورقيبة لجانبه بالحلف، لكن العلماني أبو رقيبة رفض الفكرة.

ماتت فكرة الحلف الإسلامي أمام المد القومي الشعبي العربي ، وانهار مبدأ أيزنهاور بقيام الوحدة بين مصر وسوريا ، لتصبح هي الهدف الرئيسي أو الموضوع الأساسي لتآمر تحالف الشعوبية الجديدة بين الإفرنجة وإسرائيل وحلفائهم بالمنطقة خاصة عائلة آل سعود.

لعل رشوة المليوني جنيه استرليني التي دفعها الملك سعود للعقيد عبد الحميد السراج، مدير المخابرات العسكرية السورية في حينها مقابل أن يتحرك لإفشال مشروع الوحدة، لدليل على حجم تصاعد توجهات الهستيريا العدائية المريضة عند الملك سعود ضد الحركة القومية العربية ورائدها الرئيس جمال عبد الناصر ، هَدأتْ فضيحة الرشوة هذه التي كشفها السراج لعبد الناصر من اندفاع الملك سعود في عدائه المعلن ضد الحركة القومية العربية، ليتولاها ملك الأردن حسين بن طلال إلى أن تحقق لهذا التحالف الشعوبي إسقاط تجربة أول وحدة عربية، كان يمكن أن تشكل نواة لإقامة دولة عربية كبرى تمتلك كل الإمكانات والقدرات الكفيلة بتجاوز حالة التخلف والتبعية والضعف العربي.

لم تتوقف مؤامرات حلف الرجعيات العربية مع إسرائيل والغرب ضد الحركة القومية العربية، التي انتهت بعدوان حزيران، تشير كل الوقائع والدراسات إلى أنه كان من مقدماتها وأسبابها القوية حرب الإنهاك للجيش المصري في اليمن بقيادة العائلة السعودية مع حلفائها من القبائل المتخلفة في اليمن، كان الحوثيون يمثلون الحجم الأكبر بين هؤلاء الحلفاء من قبائل اليمن المؤيدة للملكية.

كشفت رسالة الملك فيصل إلى الرئيس الأمريكي جونسون التي يستحثه فيها على القضاء على عبد الناصر والجيشين العربيين السوري والمصري؛ النيات الكامنة ومشاعر الحقد على العرب والعروبة في نفوس أبناء هذه العائلة[1].

لعل أغرب مفارقات الحقد الشعوبي السعودي، أن حلفائها الأقوياء المقربين في حرب اليمن ضد الجيش المصري، كانوا هم أنفسهم الحوثيون، دعمتهم السعودية بالأموال والسلاح بدون حدود، رغم أن الحوثيين كانوا كما هم الآن قبائل من الشيعة الإثنى عشرية في مجتمع أغلبيته من الشيعة الزيدية، كما كانوا أيضًا يتلقون الدعم والتأييد من إيران الشاهنشاهية، أي أن شيئًا لم يتغير؛ لا في عقائد الحوثيين ولا في ارتباطاتهم بإيران في زمن الملكية المتوكلية في اليمن، كما في العهد الجمهوري، لتتحرك السعودية الآن ضدهم باعتبارهم يمثلون رمزًا للنفوذ الإيراني في اليمن، كانوا كذلك يوم تحالفوا مع السعودية بقوة في أوائل السيتينات من القرن الماضي.

مؤشر كبير إلى ما يعنيه الحلف الذي شكلته السعودية لإعلان الحرب عليهم اليوم بحجة مواجهة النفوذ الإيراني في اليمن، هي حرب ضد الشيعة العرب لتعميم العداء والكره والانقسام، بينهم وبين إخوتهم السُنَّة العرب، لا دخل له بإيران ولا النفوذ الإيراني، وإلا كان الأولى محاربة إيران أو على الأقل

---

١ – يمكن الإطلاع على نص الرسالة على الرابط التالي على الإنترنت:

https://tayyar3.wordpress.com/2013/06/03/نص-رسالة-الملك-فيصل-بن-عبد-العزيز-إلى-ال

الضغط عليها بالمحافل الدولية والطرق الدبلوماسية لتحرير الجزيرتين السعوديتين (عربيي وقرزان) المحتلتين من قبل إيران منذ ١٩٥٧.

الاحتلال الذي واجهته وما تزال تواجهه السعودية بالصمت، وفرض النسيان لولا أن الرئيس أيزنهاور كشفها في مذكراته، إضافة للحق العربي الواضح والصريح في الجزر الإماراتية الثلاث التي احتلتها إيران في أوائل سبعينات القرن الماضي، والحق العربي القديم في إقليم عربستان/ الأحواز الذي تحتله إيران منذ عام ١٩٢٥.

كان يمكن أن تستعمل السعودية عرب الأحواز للضغط على إيران بنفس الطريقة التي تستخدم بها إيران الحوثيين في اليمن، ياما نَبهتُ بأحاديثي في البرامج التي شاركت فيها على مختلف محطات التلفزيون إلى ضرورة اعتماد هذه الاستراتيجية لمواجهة النفوذ الإيراني في المنطقة العربية، كما نبهت لضرورة كسب ود الشيعة العرب كمصد قوي للتأثيرات الإيرانية، كما فعل صدام حسين في حربه مع إيران عندما أعطاها رموز قومية لكسب تأييد شيعة العراق خلال حربه مع إيران، محفزًا فيهم الروح القومية للتغلب على ما يمكن أن تعمله النزعات الطائفية من تراخي في القتال، خاصة وأن غالبية الجنود وضباط الصف في الجيش العراقي في حينها كانوا من الشيعة الذي قاتلوا دفاعًا عن وطنهم بإباء وشراسة.

ناشدتُ السعودية وبقية الدول العربية بضرورة دعم حركة التحرر الأحوازية، إلا أن أحدًا لم يعطِ أي اهتمام لنداءاتي، إلا بعد أن أعلنت السعودية حربها الشعوبية الحاقدة على اليمن تحت غطاء مواجهة النفوذ الإيراني بدأت تقرب بعض الانتهازيين والمتكسبين من القضية من الوجوه الأحوازية لترشي الواحد منهم بخمسين ألف دولار مقابل تجنيدهم واستخدامهم إعلاميًا.

إن هذا الدعم الصوري يمثل في مغزاه، كمون روحية عدائية وحربًا أخرى لقتل عرب الأحواز وتأجيج الحروب البينية بينهم بل ترسيخ السيطرة والهيمنة

الإيرانية في الأحواز، لتغدو أكثر قبولاً، فالسعودية تفرض على من يطمع في دعمها من الأحوازيين أن يعلن براءته من التشيع والتحول إلى المذهب الوهابي.

المعروف أن نسبة قد تصل إلى ٨٠-٩٠ % من عرب الأحواز هم من الشيعة الاثنى عشرية، مع نسبة من الصابئة العرب، لإيران وسائلها النفسية الخاصة لمداعبة مشاعر الحب لآل البيت لتحقق التأثير الذي يخدمها في عوطف حجم كبير من عرب الأحواز للوقوف بجنبها، عندما تنحرف المطالب الوطنية العربية الأحوازية من عناوينها القومية لتتحول إلى عناوين طائفية.

وجدت النزعات الشعوبية عند بعض الحكام العرب الذي عاشوا رعبًا لأكثر من ١٨ سنة على عروشهم المهددة بالسقوط، فرصتها التاريخية لأن تشد عزائمها للتخلص من الفكرة القومية العربية نهائيًا بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧، بطرح الإسلام بمواجهة القومية العربية، فتنادت لإعادة بناء الحلم القديم بتشكيل حلف إسلامي بعد حادث حرق المسجد الأقصى في آب / أغسطس عام ١٩٦٩، في محاولة تهدف أيضًا تطمين الاستياء العام في الشارع العربي – الإسلامي من حرق أولى القبلتين، دون أن يقدم الحلف الجديد أي دعم للقضية الفلسطينية وموضوع المسجد الأقصى، سوى بيانات الاستنكار التي لا تعني غير ألفاظ وعبارات رنانة تشير إلى الاستكانة وغض النظر عن قضية فلسطين، وينتهي مفعولها بانفضاض المؤتمرين.

تلك هي المقدمات الأولية لتشكيل ما يسمى بمنظمة التعاون الإسلامي، الإسلام ضد العروبة أو العكس، وقد حققت القوى الشعوبية الحاكمة في الوطن العربي الانتصار على الحركة القومية بفرزها عن الإسلام، لكنها بدأت تشهد تصاعد مخاطر من نوع آخر، بانقلاب اللعبة والسحر على الساحر، غدت آداتهم ولعبتهم الإسلام نفسها هي الخطر، جسدته الثورة الإيرانية عمليًا، وليس فيهم من هو بقوة الشاه وعساكره ومخابراته، ثم عملية قتل السادات، لكن العقل

الصهيوني الحليف أوجد لهم حلاً جديدًا، إنها لعبة الطائفية، ليتشاغل المسلمين عنهم ويستنزفون قواهم في حروب ومعارك وانشغالات بعداوة غير مبررة فيما بينهم، ما يبعد خطر الإسلام عنهم، ومنع تكرار ما حدث للشاه والسادات من بعده، فكانت فرصة وسلاح جديد بيد العائلة السعودية لتكشف عن توجهاتها الشعوبية المعادية لكل ما هو عربي.

الدور الإسرائيلي والأهداف الإسرائيلية من الحلف الجديد:

كشف الصحفي اليهودي اليساري افنيري عام ١٩٨٢مخططًا وضعه كل من شارون وايتان وهما من كبار ضباط الجيش الصهيوني، ونشره وعلق عليه الأستاذ عصمت سيف الدولة بعنوان: (استراتيجية إسرائيل لثمانينات وتسعينات القرن العشرين "يمكن الإطلاع عليه من خلال جوجل") يهدف إلى إعادة تقسيم البلدان العربية الكبيرة إلى دول أصغر على أساس ديني ومذهبي، حصة العراق فيه ثلاثة دول (شيعية، سنية، كردية) وسوريا أربعة دول (سنية، علوية، درزية، مسيحية) مصر دولتين (مسيحية قبطية، إسلامية) وهكذا حتى لبنان والسعودية والسودان..

والحلف الحالي لا تخفي فيه السعودية هويته الطائفية، ليس موجهًا حتى ضد إيران بل يهدف إلى تعميق وتحفيز الخلافات الطائفية البينية، بين أبناء الأمة العربية، فهي لم تتحالف مع رفيقاتها من الدول العربية والإسلامية، من أجل أن تحارب إيران، أو كي تتمكن من مواجهة إيران من أجل تحرير جزيرتي عربيي وقرزان السعودية المحتلة من قبل إيران منذ عام ١٩٥٧، ولا الجزر السعودية المحتلة من قبل إسرائيل، ولا تحرير الجزر الإماراتية المحتلة من قبل إيران أو تحرير الأحواز، بل لمحاربة الشيعة العرب، وإثارة النعرات الطائفية وتأجيجها تمامًا كما أراد شارون وايتان في مشروعهما الرامي لإعادة تقسيم الدول العربية بما يضمن أمن إسرائيل إلى الأبد.

ليس المقصود بالحلف هو إيران بل الشيعة العرب مرموزًا لهم بالحوثيين، على أساس أنهم يمثلون واقع حال التهديدات الإيرانية، مع أن الحوثيين هم من أهل اليمن الأصليين منذ القدم، موجودين على أراضيهم وهم شيعة منذ مئات السنين، حتى عندما تحالفت معهم السعودية لضرب الجيش المصري الذي جاء عام ١٩٦٣ لدعم النظام الجمهوري الذي أسقط حكم الأئمة، كانوا أيضًا موجودين على أرضهم، وكانوا شيعة، يتعاونون بالمكشوف مع شاه إيران، وإيران كانت وقتها أيضًا شيعية صفوية لم تتغير بتغير نظام حكمها أيضًا، حتى إن كل ما عند الحوثيين من إمكانات ما زال الجيش السعودي بطيرانه وأسلحته الحديثة يعجز عن مواجهتها، هي إمكانات تراكمت عندهم بفضل المساعدات التي قدمها لهم حليفهم السعودي، أيام الود والمحبة.

كيف يُفهم العداء لإيران والتصدي للتوسع الإيراني، والسعودية نفسها وليس هناك من دولة غيرها هي من قدم العراق لإيران على طبق من ذهب، وفتح أبواب العالم العربي لإيران، باستدعائها القوات الأمريكية وحلف الناتو للاعتداء على العراق في العدوانين عام ١٩٩١ وعام ٢٠٠٣ (انطلاقًا من الأراضي السعودية وليس من سوريا أو إيران تقدمت القوات المعتدية)، متناسية أن العراق حارب لثماني سنوات وضحى بأكثر من نصف مليون (أكثرهم من شيعة عرب العراق)، من أبنائه لإبعاد أي خطر إيراني محتمل عليها.. وهل كان بقدرة جندي إيراني واحد أن يتجاوز الحدود العراقية بخطوة قبل الاحتلال..

من أين أتت هذه الحمية والشيمة للنظام السعودي ليحارب إيران، لا في الخليج العربي لتحرير جزره أو الجزر الإماراتية، بل في اليمن ضد الشيعة العرب لتصعيد الخلافات العربية بين الطوائف حفاظًا على أمن حليفتها إسرائيل، التي تحتل الجزر السعودية في البحر الأحمر، فإسرائيل لا تشكل خطر على مملكة

آل سعود ، واستهتارهم بالإسلام والعروبة ؛ بل العكس إن الكيان الصهيوني يشكل أحد مصادر القوة والدعم للحكم السعودي.

ليس عصيًا على الفهم أن حكومات التجزئة العربية تتبادل الحماية مع إسرائيل ، وسواء أعلن أو لم يعلن هذا التحالف ، إن كل منهما يشكل حزامًا أمنيًا للحفاظ على وجود الآخر.. فكلاهما ، دول التجزئة العربية وإسرائيل ، كانت من صُنع الغرب الاستعماري للحفاظ على المصالح الغربية في المنطقة ، بديهي أن تتبادل هذه الصنائع الحماية والدعم فهي تعرف أن سقوط إحداها يعني تهاوي الأخرى ، اتضح هذا التحالف والحماية المتبادلة عن نفسه بتصريحات موشي ديان في أيلول عام ١٩٧٠ إبان الحرب بين المقاومة الفلسطينية والسلطة الأردنية ، عندما أعلن: أن القوات الإسرائيلية كانت تراقب الأحداث مستعدة للتدخل وحماية نظام الملك حسين في حالة هزيمته أمام المقاومة.

من غرائب هذه المعادلة التي قد لا تحتاج لكثير من الذكاء لفهمها ، أن تتحول بعض القوى المحسوبة على الحركة القومية العربية والتي كانت موضوعًا للعداء الشعوبي السعودي ، بل كانت هزيمتها وسقوطها هي إحدى النتائج المكشوفة للعلن للتحالف بين السعودية والغرب وإسرائيل ، أن يعلن بعثيوا عزة الدوري وبافتخار وقوفهم في صف الحلف الإسلامي الذي جاء ليكمل المشروع الصهيوني في إعادة تقسيم الدول العربية ، ويشكر عزة المملكة العربية على الخدمات الجليلة التي قدمتها للعراق وشعبه ، ومبادرتها لمواجهة إيران بذبح عرب اليمن ، وسوريا والعراق ، وتخريب بلادهم.

يُفهم من مصطلح الخدمات الجليلة التي قدمتها السعودية للعراق ، أنها تتمحور حول إزاحة صدام حسين ، ما يعزز غرور عزة بأنه أصبح القائد الأول والأوحد للحزب ولو على شبكات الإنترنت ، لكن عزة لم يتخلص بعد من إرث صدام ، فكما اختزل سيده العراق كل العراق بنفسه ، يكرر هو التلميذ النجيب نفس الظاهرة ، فالخدمات الشخصية التي قدمها النظام السعودي لعزة بإيواءه

وحمايته هو وعائلته بعد احتلال العراق ، أصبحت خدمات جليلة للشعب العراقي، فعزة وعائلته هما الشعب ، وليذهب الشعب العراقي بعربه وأكراده مسلمين أو من أديان أخرى، شيعة أو سنة، إلى الجحيم.

من يتابع خطابات عزة الدوري وعصابته يستغرب أنه يساهم ويساهمون بجد وإخلاص واندفاع بهذه الحرب المعلنة على الأمة العربية ، وينسى فلسطين والعراق وسوريا المهددة بالتقسيم ليرحل النزاع القومي مع إيران الفارسية إلى عداء لإيران بصفتها المذهبية ، يريد تعميم معادلة السُنَّة العرب ضد إيران الشيعية (الصفوية) كما يردد بخطاباته ، ومن خلال المواقع التي يشرف عليها أزلامه، يرفع أتباعه حتى العلمانيين منهم يديه متضرعًا بالدعاء إلى الله لينصر رائد القومية العربية الجديد، الملك سليمان وخليفته محمد.

مشكلة عزة وحزب البعث السعودي المعولم مع إيران ليست الأحواز ولا الجُزر الإماراتية والسعودية المُحتلة من قبل إيران بل مذهب إيران الصفوية وتعميم الاجتهادات الصفوية على بقية الشيعة العرب ، لعزلهم عن مجتمعهم وأوطانهم ، وتحويل نزعاتهم العروبية إلى نعرات وتعصب طائفي مشحونة بالعداء لحد الاقتتال البيني مع إخوانهم السُنَّة العرب!.